دانشگاه پیام نور

نصوص من النظم و النثر فی العصر العباسی (۱)

(رشتهٔ زبان و ادبیات عرب)

دکتر محمدرضا میرزانیا

بسم الله الرحمن الرحیم

پیشگفتار ناشر

کتاب‌های دانشگاه پیام نور حسب مورد و با توجه به شرایط مختلف یک درس در یک یا چند رشتهٔ دانشگاهی، به‌صورت کتاب درسی، متن آزمایشگاهی، فرادرسی، و کمک‌درسی چاپ می‌شوند.

کتاب درسی ثمرهٔ کوشش‌های علمی صاحب اثر است که براساس نیازهای درسی دانشجویان و سرفصل‌های مصوب تهیه و پس از داوری علمی، طراحی آموزشی، و ویرایش علمی در گروه‌های علمی و آموزشی، به چاپ می‌رسد. پس از چاپ ویرایش اول اثر، با نظرخواهی‌ها و داوری علمی مجدد و با دریافت نظرهای اصلاحی و متناسب با پیشرفت علوم و فناوری، صاحب اثر در کتاب تجدیدنظر می‌کند و ویرایش جدید کتاب با اعمال ویرایش زبانی و صوری جدید چاپ می‌شود.

متن آزمایشگاهی (م) راهنمایی است که دانشجویان با استفاده از آن و کمک استاد، کارهای عملی و آزمایشگاهی را انجام می‌دهند.

کتاب‌های فرادرسی (ف) و **کمک‌درسی** (ک) به منظور غنی‌تر کردن منابع درسی دانشگاهی تهیه و بر روی لوح فشرده تکثیر می‌شوند و یا در وبگاه دانشگاه قرارمی‌گیرند.

مدیریت تولید محتوا و تجهیزات آموزشی

فهرست

كلمة المؤلف	السابع
العصر العباسي: لمحة تاريخية	التاسع
الدرس الأوّل:بشّاربن برد	۱
الدرس الثانی:ابوالعتاهية	۹
الدرس الثالث:ابونواس	۱۹
الدرس الرابع:مسلم بن الوليد	۳۱
الدرس الخامس:إبن المقفّع	۴۳
الدرس السادس:سهل بن هارون	۴۹
الدرس السابع:ابوتمّام	۵۷
الدرس الثامن:أَلبُحترى	۶۹
الدرس التاسع:إبن الرّومى	۸۱
الدرس العاشر:إبن المعتزّ	۸۹
الدرس الحادى العشر:الصنوبرى	۹۹
الدرس الثانى العشر:الجاحظ	۱۰۵
الدرس الثالث العشر:إبن قُتَيبة	۱۱۱
واژەنامه	۱۱۹
پاسخنامه	۱۳۰
المراجع و المآخذ	۱۳۲

كلمة المؤلف

منذ أن جاء فرع اللّغة العربيّة في جامعة «پیام‌نور» أحسستُ بأنّ طلاّب هذا الفرع الجديد بحاجة ماسّة إلي كتب اكثر شرحاً و ايضاحاً نظراً إلي نظام التدريس في هذه الجامعة و منهج التعليم فيها، فخطر ببالي أن أسُدّ هذا الفراغ بتأليف بعض الكتب ليبلّ من غلل الطُلاب و لا يزيد عللهم و يقلّل ممّا يعانيه المتعلمون من الصعوبات في فهم الموادّ الدراسيّة و نصوصها. إلي أن أوعَز إلَيَّ رئيس القسم آنذاك أن أقوم بتأليف كتاب في مادّة «نصوص النظم و النثر في العصر العباسي. فقبلت بفائق الشوق و بذلت قصاري جهودي أن أختار أروع ما سرّد النابهون من الشعراء و الكتّاب في هذا العصر يستوعب جميع ما يتوخّي من أدب هذا العصر الغزير و رائع شعره و نثره و جلّ غايتي أن أقدّم مادّة من شأنها أن تغذّي عقل الطالب و تملأ قلبه و نفسه و تعدّه لميدان الحياة و الخوض في الامتحانات الرسميّة، فلا يشكل عليه أمر أو تقف في وجهه عقبة.

و الآن يسعدني أن أقدّم للطلاّب و اساتذة هذا الفرع الاغرّاء ثمرة جهودي الحلوة و نتيجة ما وصلت اليه من وراء الصعوبات. فمنهجي في اعداد هذا الكتاب يقوم علي:

١. نبذه يسيرة من ترجمة الشاعر و الكاتب موضّحاً مفرداتها الصعبة.

٢. الاتيان بإحدي قصائد الشاعرو نصوص الكاتب مع الايضاح بشرح لغاتها و

ابياتها شرحاً يقرّبه من الافهام و كلّ ما من شأنه أن يساعد الطالب و يسهّل له العمل.

٣. جمعت في نهاية كل درس أو درسين عدداً من التمارين لتدريب المتعلّم.

٤. في الختام أوردت أسئلة للمناقشة.

و أمّا ماجاء في المقدمة فانّه مأخوذ من كتاب «تاريخ الادب العربي» لمؤلّفه أحمد حسن زيّات مع تصرّفٍ قليل

و املنا أن نكون قد قمنا بجزء من الواجب الملقي علي عاتقنا و نرجو من الاساتذة الكرام و جمهور الادباء و النّقاد أن يغضّوا علي الهفوات و يمرّوا علي اللغو كراماً مبدين آراء هم في ما كتبنا مصلحين ما قد نكون شططنا فيه و لهم الشكر في كل حال.

محمدرضا ميرزانيا

بهمن ماه ٨٨

العصر العباسى: لمحة تاريخية

كان بنو اميّة شديدَى التعصّب للعرب و العربيّة فكان كلُّ شىءٍ فى دولتهم عربّىَ الصِّبغه و كانت جمهرةُ العرب منتشرةً فى كلّ مكانٍ امتدَّ اليها سلطانُها. فلَمّا قامتِ الدولةُ العبّاسيّةُ بدعوَتها لم تجِده لها من العرب انصاراً و اعواناً مثل مَن وجدت من الفُرس و أممِ الأعاجم فاكتَسَحت بهم دولةَ بنىأميّةَ و أسّست دولةً قويّة كان اكثرُ النُفوذ فيها للمَو الى فاستَخدمَهم الخلفاءُ والأمراء فى كلِّ شىءٍ من سِقاية الماء إلى قيادة الجيوش والوزارة وابتَدأ شأنُ العرب السياسىّ يَتضاءلُ من ذلک الحين شيئاً فشيئاً واختلَطوا بالأعاجم و كان من المجموع شعب ممتزج لُغةً و عادةً و خُلقاً فأثّر ذلک فى اللّغة لفظاً معنىً و شعراً و نثراً و كتابةً و تأليفاً و لم يَظهر ذلک بالطّبع فى جميع الممالک بنسبة واحدةٍ بل كان فى اواسط آسيا أظهرُ منه فى مصر والشّام.

امّا حال ممالک الغرب و الأندلُس صدرَ هذا العصر فلم يَبعُد كثيراً عمّا كان عليه فى العصر الماضى ثمّ سَرت إليها عَدوى تقليدها للمَشارقة فى اكثر الأمور فمَع ذلک كان عصرُ الدولة العبّاسية العصر الذى بلغَت الحضارةُ الاسلاميةُ ـ و الى جانبه اللّغةُ العربيّةُ ـ ذروتَه و ظهَرت الآراء والافكار المختلفة علميّاً و فلسفياً لامتزاج العرب بالأعاجم خاصّةً الفُرس فأصبح من أهم خصائص هذا العصر قوّةُ النُّفوذ الفارسىّ و ضَعفُ النفوذ العربى و كان لنفوذ الموالى و خاصّةً الفرس مَظاهر عدّة أهمّها:

١- إن قُصورَ الخلفاء كانت ملئيةً بالمَوالى و كانوا يُستخدَمون فى مشاغل شتى

٢- إنّ المَناصبَ العالية كالوزارة كانت مقصورةً علَى الفرس تقريباً

٣- انتشارُ العادات والتَّقاليد الفارسيّةِ بين العرب و التى كان لها أثرٌهامّ فى الادب العربى

٤- انتشار الثّقافةِ الفارسيةِ

فعلى اساس ذلک نقول «إن العصر العباسى هو عصر الاسلام الذَّهبيّ الذى بلَغ فيه المسلمون من العمران والسُلطان مالم يَبلغوه من قبلُ و لا من بعدُ و أثمَرت فيه الفنونُ الاسلاميّةُ و زهَت الآداب العربيّة و نقلت العلوم الاجنبيّة و نَضج العقل فوجد سبيلاً إلى البحث و مجالاً للتفكير.

و ملوکُ هذه الدّولة يَنتمون إلى العبّاس عمّ النبيّ (ص) فانتَزعوا الخلافة قهراً من يدِ الأمويّين بمعونة الفرس و أقاموا عرشَها بالعراق و تَصدّى الخلافةَ منهم سبعةٌ و ثلاثون خليفة فى خمسةِ قرون و بعض القَرن، حتى ثلَّ ذلک العرش هلاکو سنةَ ستٍّ و خمسين و ستمأئه. و ما زالت حَضارة الدّولة و آدابها تهبط بهُبوطها، حتّى سَقطت بسقوطها.

و تختَلف هذه الدّولةُ عن الدّولة الأمويّة بأحوال سياسيّة و عمرانيّة كان لها الأثرُ الظاهرُ فى ادب اللُّغة فالدولة الأمويّة كانت عربيّةً خالصةً، تعَصبّت للعرب و لغتِهم و آدابهم؛ و جعَلت قاعدتها دِمَشق على حدودِ باديتِهم و كان جنودُها و قوّادها و كتابها و سائرعمَّالها من العرب، فلم يَحدُث فى ادبِ اللُّغة تأثير الّا ما اقتَضاه التَحضُّر و اتِّساع العمران.

امّا الدولةُ العباسيّةُ فقد اصطَبغَت بصَبغةٍ فارسيّةٍ، لأنّ الفُرس هم الذّين أوجَدوها و أيَّدوها، فاتخذّت عاصمَتها بغداد أقربَ الامصار إلى بِلادهم و أطلَق الخلفاءُ أيدى المَوالى فى سياسةِ الدولةِ فاستقَلّوا بشؤونها، و استبَدّوابأمورها.وقدأجمع ألمورّخون على هذا ألموضوع كافّةًفيقول عمر فرّوخ فى تأريخه"وبما أنّ الفُرس هم ألّذين ساعدواالعبّاسيين على نيل ألخلافةِ لم يكن مُستغرباً أن يُلقى العبّاسيّون قيادَ دولتهم إلى ألفُرس جملةً،حتّى أصبحتِ الدولةُ العباسيّةُ فارسيّةً فى كلّ شىء و حتّى أصبح الفُرسُ وألخراسانيّون خاصّةً يُدعَون «أبناءألدولة» فأثار ذلک نقمةَ ألعرب وألشّيعة منهم خاصّةَ على ألعباسيين (عمر فروخ،١٩٨٦: ٣٩) فضعُفت العصَبيّة العربيّة و علا صوتُ

الشُّعوبيّة و نَتج من ذلک دخولُ العناصر الفارسيّة و التركيّة و السريانيّة و الرّوميّة و البربريّة فی تکوين الدوّلة و تمازُجهم بالتَّزاوج و التَناسل و اختِلاط المدنيّة الآريّة بالمدنيّة الساميّة و لکلٍّ منها لغةٌ و اخلاقٌ و عاداتٌ و اعتقادات أثَرّت فی الأخری. فقد امتازت هذه الدّولةِ من اطلاق الحُريّة فی الدّين و تَعدُّد الفِرَق حيثُ ظهرت فی الامَّة الاسلاميّة فِرق کثيرة من أهل السنّة و المعتزلة و الَخوارج و غيرِهم و شيوع المقالات المختلفة فی الالحاد و السياسة حتّی يقول شوقی ضيف ٢ «عصر ألمأمون من أزهی عصور ألدولة ألعباسيّة، فقد کان حُرّ ألفکر شَغوفاً بالمعرفة، ولم يکد يستقرّ فی بغداد حتّی جعل من مجلسه ندوةً علميّةً کبيرةً يَتحاور فيها و يَتناظر ألفقهاء وألمتکلّمون وألعلماء من کلّ صنفٍ» (شوقی ضيف،تاريخ ألادب ألعربی: ٣٩) و طبيعیٌّ أن کان لکلّ ذلک أثرٌ بيّنٌ فی ألُّلغة وآدابها.

الأدب العبّاسی

والأدب الذی يُنسب إلی العباسيّين انّما هو منسوبٌ علی وجه التَغليب لقوّة أثَرهم فيه، ولأنّه نشأ و تَرَ عرَع فی ظلِّهم؛ و هو فی الحقيقة ادبُ العبّاسيّين فی بغداد و البُهويّهيّنِ فی فارس، و المحدانيّين فی الشّام، و الفاطميّين فی مصر و المغرب.

و کان المرکزُ الرئيسیّ الاوّلُ للأدب العبّاسی هو بغداد قاعدةُ الخلافةِ العبّاسيّة، ثم عاصمَةُ الدّولةِ البهويهيّة و کانت فی ذلک العهد من أهم حواضِر العلم و المدنيّة. اجتمعت فيها الشعوب و المدنيّات، و اتّسعت فيها دورُ العلم.

و من مراکزِ الادب العبّاسیّ أيضاً البَصرةُ والکوفةُ فی العراق، و کان التَّنافسُ بينهما شديداً، و قد دارت مُفاخرات کثيرة بين البصريّين و الکوفيّين، مما نَشَّط الحرکةَ الثِقافيّة فی مختلَف فنون العلم من نحوٍ و لغةٍ و ادبٍ و کلامٍ و غيرِ ذلک. و کان للمِربَد اثرٌ کبير فی الحياة العقليّةِ، و لاسيّما اللغوية، فقد أصبح فی ذلک العهد غرضاً يَقصِده الشعراء لاليَتَها جُوا و لکن ليأخذوا من الاعراب الملکة الشعرية؛ و يَخرج اليه اللُّغويون ليُدوّنوا عن أهله ما يُصحّح قواعدَهم و يُؤيّد مذاهبهم.

و اشتَهر من مراکزِ العلم، فضلاً عّمّا ذکَرناه من مُدن العراق، المدينةُ بالحجاز

حيث نضِجت علومُ الدين؛ و الفُسطاط بمصرحيث ازدَهرت علومُ الدّين واللّسان؛ و بخارى عاصمةُ الدولةِ السامانيّة بخراسان و تركستان؛ و جُرجان عاصمةُ الدولة الزيارية بطبرستان؛ و غَزنة قاعدةُ الدولة الغزنويّة بالهند و افغانستان؛ والقاهرة عاصمة الدولة الفاطمية بمصر؛ و خصوصاً حلَب مقرّ الدولة الحَمدانية بالشّام.

امّا مَعاهدُ العلم فى العصر العبّاسى فهى الكتاتيبُ ليعلم الصِبيان؛ والمساجدُ امكنة العبادة و امكنة الثقافة؛ و مجالس المُناظرة فى الدُور والقُصور و المساجد و بين العلماء؛ و فى حَضرة الخلفاء، و المكتبات و من اشهرها خِزانةُ الحكمةِ أو بيت الحكمة ببغداد، أسّسها الرَّشيد و أنماها المأمون.

الشعر

انتقَل الشعرُ فى العصر العباسى من هُدوء البادية إلى ضَوضاء المدينة، و من الصّحراء المُجدِبة إلى القصور تَحُفّ بها البساتين و من الرِصانة العربية إلى الانغماس فى الملاهى الحضَريّة، و من مجالس الادب و السياسة إلى مجالس الغناء فلذلک عرضَت للشعر عوارض أثرّت فى اسلوبه و معانيه و أغراضه و أوزانه.

فامّا التأثر فى اسلوبه، فبالاعراض عن استعمال الكلمات الغريبة، و غدوبة التركيب و وضوحه و استحداث البديع و الاستكثار منه يقول صاحب ألمفصّل فى ذلک «ظهرت ألعناية بانواع ألبديع فى هذاالعصر وتَعمَّدهاالشعراء تعمداً لتحلية أشعارهم وتزيينها،وقدكانت بداية ألإهتمام بألبديع فى ألعصر ألأوّل فكان مسلم بن ألوليد يجمّل شعره بألبديع أحياناً ولكنّه لم يُغرق ولم يتجاوز ألحدّ، ثمّ تلاه أبوتمّام فأولع بألبديع وملک عليه ألجناسُ نفسه، وكاديُفسد عليه شعره لولا ذوقٌ أصيلٌ يحول بينه وبين ألتدهور وكان ألبحترى يَقصد إلى ألبديع أحياناً ولكنّ ديباجته ألبديعة كانت تأبى أن يأخذ عليها شيءٌ من تكلّف ألصناعة أو تعمّدِما لايجرى مع ألطبع ألسليم،ثمّ جاء إبن ألمعتزّ وألّف فى ألبديع و أُغرِمَ به بعض ألأغرام ورقّش به شعره ولكنّ دقّة صناعته وروعة بيانه وحسن تشبيهاته، حالت دون أن يهون شعره ودون أن يُسقطه عبثُ ألصناعة ألللفظيّة» (ألاسكندرى و ديگران، ۱۹۳۶: ۱۱)و كذلک ممّاتأثّر به

ألشعر فى ألاسلوب هو ترک ألابتداء بذکر ألاطلال إلى وصف ألقصور وألخمور وألغزل، و الاغراق فى المدح و الهجاء، و الاکثار من التشبيه و الاستعارة، والحرص على التناسب بين أجزاأ الفصيدة و مراعاة الترتيب فى التركيب.

و أما فى معانيه، فبتوليد المعانى الحضَرية، والاقتباس الأفكار الفلسفيّة، إذ اكثر شعراء هذا العصر مواليد جنسيتين، و رَضائع لغتين و ادبين، و ربائب حضارتين مختلفتين، و لهذا اللِّقاح من الأثر فى الفكر والعقول ما يُعلل لک و فر ة المعانى الجديدة فى شعر بشّار و أبى نواس و أبى العتاهيه و ابن‌الرّومى. ثم نقل العرب علوم اليونان و غيرهم فكان لهذا النقل فضل على الشعر فى معانيه لا فى فنونه. لأنهم لم يترجموا الاّ كتب العلم و الحكمه و لم يحفلوا بشعر اليونان و قصصهم، ولا بشعر اللاتين و خطبهم، تعصباً لأدبهم و ايثاراً لشعرهم؛ فلم تؤثر الترجمة فى الشعر إلا بمادخله من الخواطر الفلسفية و السياسية و الآراء العلمية فى شعر أبى تّمام و المتنبىّ و أبى العلاء و أضرابهم.و امّا فى أغراضه «فقد دخل فى ألأدب ألعربى فنون وأغراض لم يألفها ألأدب ألعربى من قبل كألغزل ألمذكّروألخمريّات وألتَوفّر على ألأوصاف ألحضَريّة و إهمال ألعصَبيّة ألعربيّة ألبدويّة» (عمر فروخ، ١٩٦٨: ٤٠) فبالمبالغة فى نعت الخمر و مجالسها، و وصف الرياض و الصيد، وألمجون كلُّ ذلک كان من مظاهر ألمدنيّة فى ألعصر ألعباسى ألأمر ألذى لم يتناوله ألشعراء فى شعرهم فحسب بل لصق بحياتهم ألفرديّة وألأجتماعيّة إلى حدٍ نرى كثيراً من ألشعراء فى حاضرة ألخلافة ألعباسيّة فتحوا أبوابَ دورهم أمام مُعاطى ألخمر وألماجنين يُشير إلى هذاشوقى ضيف فيقول «كثيرٌ من ألشعراء فى بغداد وغير بغداد تحوّلوا بدورهم ألى مقاصف للخمر وألمجون على نحو ما كانت دور مُطيع بن إياس ورفقائه فى ألكوفة ودار بشّار بن برد فى ألبصرة ودار أبى نواس فى بغداد» (شوقى ضيف،تاريخ ألادب ألعربى:٦٩).و اما فى اوزانه، فبالإكثار من النظم فى البحور القصيرة، وابتداع أوزان أخرى، كالمستطيل و الممتد و هما عكس الطويل و المديد، و الموشّح و الزجل و الدوبَيت و المَواليا. و كذلک فى القا فية كالمُسمّط و المُزدوَج.

و لمّا انفَرطَ عِقد الخلافة، و تَعدّدت حواضر الدولة، باستقلال الولاة فى فارس

و الشام و مصر و المغرب، وجد الشعر فی غیر بغداد ملاذاً و حمیً، فانتقل إلی تلک الامصار فصادف من امثال بنی بویه و آل حمدان اکفّاً سمحة و صدوراً رحبة، و ربوعاً خصبة، فازداد ابتکاراً و انتشاراً و کثرةً و لنظرهُ عابرة فی فهرس الیتیمة للثعالبي، تکفیک لتعلم اثر ذلک التشعب السیاسی فی نهضه الشعر، و الشعر و العلم کما رأیت لا یزهوان إلا فی ظل ملک أو أمیر.

و مازال الشعر علی حاله من العنایة بالألفاظ، و الاصابة للغرض. و الافتنان فی المعنی، حتّی إنقضی القرن الخامس للجهرة، فذهب معه جمالُ الشعر العربی من الشرق، و فقد تأثیره فی النّفوس لذهاب المُعاضدین له من بنی بُویه و قلّة الراغبین فیه من آل سلجوق و استشعار النفوس لذل الغلبة والقهر بتوالی الفتن و المحن، فانصرفت الخواطر إلی التصوف و الادعیة، و عَیّت القرائح عن التولید و الابتداع، فجلاء الشعراء معانی الاقدمین فی حُلل مُهلهَلة النسج، مُنمّقّة الوشی، و أخذوا یتعلقون بالبدیع، و یغلون فی المجاز و الکنایه، و یقلدون العجم فی اغراقهم و مداراتهم الملوک و الامراء، و لا سیّما المتأخرون منهم، حتی أصبح غرض الشعر عندهم انّما هو الکذب والاستجداء، فقالوا: «أعذب الشعرأکذبه» ثم کان مآل الشعر فی هذا العصر کمآل النثر فیه سواء بسواء.

و أنت إذا أخذت الشعر العربی کلّه بنظرة واحدة فعرضت تاریخه کما تعرض تاریخ الکائن الحیّ، وجدته قد تطوَّر فی موضوعه تطوُّر الأمّة العربیّة، و قطع معها مراحل الحیاة الانسانیّة؛ فهو فی الجاهلیة انغام صبی، و حماسة فتوة، و عواطف أثرة؛ و فی الاسلام أنا شید جهاد، و ثوران عصبیّة، و أطماع حیاة، ثم حان شبابه و اکتمل فی صدر الدولة العباسیة، فظهر فی شعر بشّار و أبی نواس و أضرابهما عبث شباب، و أغاني طرب، و مظاهر ترف، ثمّ عضّ علی نواجذ الحلم و اکتهل فی اوساطها فبدأ فی شعر ابن الرّومی و أبی تمّام و المتنبیّ و أمثالهم دروس تجربة، و نتائج حکمة، و خواطر فلسفة، ثمّ أدرکه الهرم فی أواخرها فظهر فی شعر المتأخرّین تمویه صنعة، و خرف شیخوخة و معالجة روح. أمّا ولادته و طفولته فلم یدرکهما التاریخ و لم یدخل فی علمه.

الكتابـة في العصر العبّاسي

لا ريب أنَّ الكتابة عنوانٌ من عناوين الرُّقيّ و التَّقدم عند كـلِّ أمّـة و مَظهـر مـن مظـاهر حَضارتها و لـم نَر أمةً من الأمم فـي تـاريخ نهـضتها الاّ و كانـت الكتابـة هـي الدِّعامـة الأولي التي تَرتَكز عليها.

كانت الكتابةُ في الدّولة الأمويّة تَقتصِر علي كتابـة الـدَّواوين و انـشاء الرَّسـائل و كان الخلفاءُ يُملُون رسائلَهم علي كُتّابهم أو يكتبونها بأيديهم و كانت وظيفـة الكاتـب إمّا العمل في دواوين الجِباية و امّا الكتابه بين يدَي الخليفة.

و لمّا توسَّعت الفُتوحات و ازدَادت اعمالُ الدولـة و شـغَل الخلفـاء بمَهـامٍّ كثيـرة منَعتهم من الكتابة بأنفسهم، عهِـدوا بهـا إلـي كبّـار كتّـابهم حتّـي أصـبحت فـي نهايـةِ الحكم الأموي صِناعة مُتميِّزة و مُتشعبّه و ذلـك بمـا أدخلَـه الجيـلُ الناشـيء مـن أبنـاء الكتّاب و الموالي بعد نقل الدواوين إلي العربيّة و كان كثيرٌ منهم يَعرف اللُّغـة اليونانيّـة أو الفارسية أو السر يانيّة أو الروميّة و هي كما تعلم لغاتُ أمَم ذات علـوم و حـضارة و نظام.

من هؤلاء نـذكر الكتّـاب المعـروف عبدالحميـد الكاتـب الـذي آلَـت اليـه زعامـةُ الكتابـة فوضـع معالمَهـا، و مَهّـد سُـبلَها، و رسَـم لهـا طرقـاً خاصّـة فكـان بـذلك شـيخُ كتّاب الرسائل علي الاطلاق و قد نشأ مع عبدالحميد جيلٌ جديدٌ نسَج علي مِنواله و تَفنّن و أبدَع كابن المُقفّع و يحيي بـن زيـاد و عمـارة بـن حمـزة و يعقـوب بـن داود وزير المهدي. كلُّ هؤلاء الكُتّاب الفُحول كَمّلوا ما فات عبدالحميـد و أوصَـلُوا كتابـة الرسائل إلي غاية بعيدة في البلاغة في صدر الدولة العباسيّه.

و لمّا آل سلطانُ العرب إلـي العباسـيين لـم تَعُـد الكتابـة قاصـرةً علـي الـدواوين و الرسائل بل تعدْتها إلي عِـدّة إغـراض مـن انـواع التـصنيف و الترجمـة، فقلّـد العباسـيون أول أمرهم طريقَة عبدالحميد الكاتب فترسَّمُوا خُطاها و بالَغوا فـي الانتفـاع بهـا و هـي طريقة كانت تَعتني بتَنوع العبارة و وضـح الالفـاظ و الميـل إلـي الا يجـاز و الزهـد فـي السجع، و المحسنات اللفظيّة و المعنويّةلاّ ما جاء عفوالخاطر غير متكلّف، فلمـا نـزع العرب إلي الترف، وزاد اختلاطُهم بـالفرس، أخـذوا يَتـأنقّون و يُطيلـون. و ازداد ذلـك

بتراخي الزمن حتي خرجوا عن أساليب القدماء و عاقَبوا الجُمل علي المعني الواحد، و رأوا ذلك التكرار إبلغ للمعني و أوقَع في النفس. و انتقدوا مذهب الايجاز في صدر الاسلام و بعده. ثم مالوا إلي الازدواج و السجع، و تضمين الاشعار والامثال و كل ذلك جار مجري الطبع لحسن التصرف في المعني و قلّة التكلّف في اللفظ.

فلما ضعُفت الخلافةُ و قام بالأمر غيرُ أهله، سَري الضَّعف إلي الكتابة فجهَل أربابها الغرض منها و مالُوا إلي زُخرُف القول و تَدبيج اللّفظ بأنواع البديع و أوغَلُوا في ذلك حتّي سمُجت مبانيهم و فَسدت معانيهم.

و كتّاب هذا العصر أربع طبقات نبغَت كل طبقة في عصر من عصوره الأربعة؛ فالطبقة الأولي إمامها إبنُ المقفّع. و طريقتُه تَنويعُ العبارة و تقطيع الجملة، و المُزاوجة بين الكلمات، و العناية بالمعني و الزهد في السجع. و من رجال هذه الطبقة يعقوب بن داود، جعفر بن يحيي، و الحسن بن سهل؛ و عمرو بن مسعدة و سهل بن هارون.

والطبقةُ الثانيةُ إمامُها الجاحظ. و طريقَتُه أشبه بالطَّريقة الأولي في سهولة العبارة و جَزالتِها و انّما تمتاز بتقطيع الجملة إلي فقَرات كثيرة مُقَفّاة أو مُرسلة، و زيادة الاطناب في الالفاظ و الجمل. و الاستطراد، و مَزج الجدّ بالهزل و تحليل المعني واستقصائه و الاعتراض بالجمل الدعائيّة و من رجال هذه الطبقة إبن قتيبة و المبرد و الصولي.

والطبقة الثالثة إمامُها ابنُ العميد و طريقَتُه أعلق بالنفس و أملك للوجدان لانها شعر لا يُعوزه إلاّ الوزن، فمن قيودها السجع القصير، و الجُناس، و الاستشهاد بالنظم في غُضون النثر، و التَّوسُّع في الخيال و التشبيه؛ مع إجادة المعني و سلامته. و من رجالها الصاحب بن عبّاد، و الخوارزمي، و البديع، و الصابي، و الثعالبي.

والطبقة الرابعة إمامُها القاضي الفاضل. و طريقَتُه مُؤسّسة علي اصول الطَّريقة الثالثة من استعمال السجع و البديع، الاّ أنه غَالي في التورية والجُناس حتي أصبحت الكتابة في عهده صناعية محضاً و من رجالها إبنُ الأثير صاحبُ المثل السائر، و الكاتب الاصبهاني.

أدوار ألعصر ألعباسى

على أنّ بعض ألمورخين قد قسّمُوا ألعصر ألعبّاسى إلى أربعة أعصُر ناظرين فى هذا ألتقسيم إلى طبقات ألشعراء وألكتّاب فى ألعصور ألمختلفة وإختلاف أساليبهم أو إتّساع بقاع ألعلم وألأدب فى ألشام وبغداد ومصر وفارس فنحن قسّمنا ألأدب فى هذا ألعصر إلى قسمين:ألعصر ألعباسى ألأول وألعصر ألعباسى ألثانى

ألعصر ألعباسى ألأول

ويبتدىء من سنة ١٣٢ه إ لى سنة٣٣٤ه ومن خلفائه ألسّفاح، ألمنصور، هارونألرشيد، ألمأمون، ألمعتصم، ألواثق، وألمتوكل و من أشهر كتّابه و شعرائه:محمد بن سلّام ألجُمحىّ عبدألله بن ألمقفّع، إبن قتيبة، ألجاحظ، سهل بن هارون، بشّار بن برد، أبوألعتاهيّة، أبونواس، مسلم بن ألوليد، أبوتمّام،ألبحترى، إبنألرومى، إبن ألمعتزّ، وألصنوبرى.

ألعصر ألعباسى ألثانى

ويمتدّ فى ألزمن من سنة٣٣٤ه وينتهى بسقوط بغداد تحت ضربات ألتتار بقيادة هولاكو سنة٦٥٦ومن مشاهير شعرائه وكتّابه:ألمتنبّى،أبو فراس ألحمدانى، أبوألعلاءألمعرىّ، ألشريف ألرضىّ، إبن ألفارض، ألطغرائى، إبنألعميد، ألخوارزمى، ألصاحب بن ألعبّاد، ألصابىء، ألهمذانى، ألحريرى، وألقاضى ألفاضل.

وقدتناولنافى هذاألكتاب مشاهير شعراءألجيل ألأوّل من ألعصر ألعباسى وكتّابه.

الدرس الأوّل

بشّاربن برد

۹۶ - ۱۶۸ هـ ۶۹۶ – ۷۶۸ م

هو بشّار بن بُرد بن **يَرجوخ العقيلى** كنيَتُه ابو مَعاذٍ وُلد بِالبَصرة و نَشأ فى بنى عقيل مُولَعاً[۱] بالاِختِلاف[۲] إلى الأَعرَاب المُخيَّمين[۳] ببَاديةِ البصرة. فنشأ نَشأةً عربيّة مع مَعرفتِه بالثّقافَة الفارسِيّة، لأنّ أباه كان مِن فُرس طَخارستان، فَاستَوى لِسانُه على الفَصاحة و انطَبَع عَلى الشِّعر مُنذ كان حدَثاً و انطَبَعت نفسُه عَلى الشَرّ و الهِجَاء و السُّخر و حبِّ التَكسُّب. و قد اَدرک بنى اُميّة و اتّصلَ ببَعض أُمرائِهم وُلد بشّار أعمَى و كان ضَخماً، عظيمَ الخَلق، مجدوراً[٤]، طويلاً، جاحظَ العَينين[٥] و فكان أقبحَ النّاس و أفظعَهم مَنظراً.

يَمتازُ بشّار فى شِعره بطبعِهِ و بُعده مِن التَكلّف و تَفنُّنِه فى ابوابِ الشعر و تصرّفِه بالاَلفاظ والمعَانى، جمَع فى شعره جَزالةَ البَدو[٦] و رِقّة الحَضَر[١] و هو خيرُ صِلةٍ

---

١. مولعاً: حريصاً.

٢. الاختلاف إلى: من إختلف إلى المكان: أى تردّد و جاء مرّة ً بعد أخرى.

٣. المخيّمين: الذين ضربوا خياماً.

٤. المجدور: من أصيبَ بالجُدرى و هو مرض يسبّب بثوراً حمراً بيض الرؤوس تنتشر فى البدن و هو شديد العدوى.

٥. جاحظ العينين: من جحوظ العين اذا خرجت مقلتها من حدقتها.

٦. البدو: سكان الباديه و هم الجاهليون.

بينَ العَصرين الأمويّ و العباسيّ بما فى شعره من رَوعةِ القديم و رقّةِ الجديد.

نموذج من شعره:

مدح ابن هبيرة و وصف الجيش

١- جفا ودُّه فَازوَرّ أومـلَّ صاحبُـــــه و أَزرَى بـه ألّا يـــزال يُعاتبُـــه
٢-خليليَّ لا تَستكثِرالَوعـة َالـهـــــَوى ولا سَلوةَ المحـزون شَطّت حَبائبُه
٣- فقد رابَنى قَلبى! يُكلِّفنـــى الصِّبـــا و ما كلُّ حينٍ يَتبَع القلبَ صاحبُه
٤-أخُوک الّذى إن رِبتَه قـــال أنّمـــَا أربتُ و إن عاقبتَه لان جانبُـــــه
٥-إذا كنتَ فى كلّ الأمور مُعاتبـــــاً صديقَکَ لم تَلقَ الّذي لا تُعــاتبُه
٦- فَعِش واحداًأوصِل أخَـــــــــاک فإنّــه مُقارف ذنبٍ مرّةً و مُجــانبُه
٧-إذاأنت لم تَشرَب مِراراًعلَى القَــذى ظَمِئتَ و أىُّ الناس تَصفُو مشـاربُه
٨-ومَن ذاالّذى تُرضَى سَجاياه كُلُّهـــا كفَى المَرءُ نُبـلاً أن تُعدَّ معايبُـــه
٩-يَخاف المَنايا أن ترَحّلتُ صاحـــبى كأنّ ألمنايـا فى ألمقام تُناسبـــــه
١٠- فقلتُ له:إنّ العـِراق مُقـامُـــــه وخيمٌ إذا هَبّت عليـک جَنائبُـــه
١١-لألَقَى بنى عَيلانَ، إنّ فِعـــالَهـم تَزيد على كـلّ الفعـال مراتبُـــــه
١٢-أُولاک الأُلَى شَقُّوا العمَى بسيوفهم عن العَين، حتىّ أَبصَرالحقَّ طالبُه
١٣-رُويدَ تَصاهَل بالعراق جِيادُنـــــا كأنَّک بالضَحّـاک قد قَام نادبُـــه
١٤-و سَامٍ لِمروان، و من دونه الشَجّـا و هَولٌ كلُجِّ البـحرجَـاشت غَوارِبُه
١٥-أحَلَّت بنا أمُّ المنايا بَنـــا تِهـــــا بأسيافنا، إنّا ردَى مَن نُحارِبُـــــه
١٦-ركِبنا له جهـراً بكـُلّ مُثَقّـــــفٍ و أبيضَ تَستسقى الدّماءَ مَضاربُـه
١٧-وجيشٍ كجُنح اللّيل يَزحفُ بالحَصَى و بالشَّـوكِ، والخَطىِّ حُمراً ثَعالبُه
١٨-غَدونا له، والشَّمسُ فى خِدر أُمّهـا تُطالِعتَـا، والطَلَلُّ لم يَجرِذائبُـــه
١٩-بضربٍ يَذوق الموتَ من ذاقَ طعمَه و تُـدرک مَن نَجّى الفرارَ مثالبُـه

---

١. الحضر: سكان المدينه.

٢٠-كأنَّ مُثارَ النَّقع فوق رؤُوسِنـــــــا و أسيـافَنا ليلٌ تهاوَى كواكبُـــــه
٢١-بعثَنا لهم موتَ الفُجاء ةِ، إننّـــــا بَنـو الموتِ، خفّاقٌ علينا سبائبُـه
٢٢-فرَاحُوا: فريقٌ فى الإسار، و مِثلُــه قتيلٌ و مثلٌ لاذَ بالبحرهَا ربُـــــه
٢٣-إذا الَملِكُ الجبّار صَعَّر خـــــدَّه مَشينـا إليه بالسّيوُف نُعاتِبُـــــه

شرح ألقصيدة

١. جفا ودّه فازورّ أومـلَّ صاحبـه و أزرى بـه ألا يـزال يعاتبـــه

جفا، يَجفُو، جَفواً و جفاءً ودّه: أمسَک عن ودّه. / الودّ: مُثلّث الواو، الُحبّ والمـودّة/ إزورَّ: انحرف وتباعـد / ملَّ: سئِم و ضـجر. / أزرى بـه: حطّ مـن شـأنه و حقّره./ والضمير فى ودِّه يعود على غير مذكورو كذلک بقيّه الضمائر البارزة، و قوله «يعاتبه» فيه ضمير ان: أحدهما فاعل مستتر و هو عائد على ما عاد اليه الضمير فى «ودّه» والآخر مفعول بارز و هو الهاء الذى يعود إلى الودّ أو الصاحب.

يقول: اَنَّ المحبّ قد جفَا حبيبَه أو ملّه، فعاتبَه المحبّ و اكثرَ حتى أزرَت به كثرة ُالعتاب.

٢. خليليَّ لا تستكثرا الوعـة الهـوى و لا سلوة المحزون شطّت حبائبه

خليلـيَّ: منـادى مثنّى بحـذف حـرف النـداء./ لا تَستكثرا: و فـى روايـه «لا تستنكِرا» أى لا تعُدّا كثيراً. / لوعة الهوى: حُرقة الحبّ./ سلو ة المحزون: تسلّيه./ شطّت: بَعُدت. الحبائب: مفردها الحبيبه، العشيق.

يقـول: يخاطـب الـشاعر صـديقيه علـي سـبيل الاسـتعطاف و يقـول: لا تحـسبا التِياعي و حُرقَةَ ما في قلبي من الحبّ كثيراً و لا تَتوّقعاً من المحبّ الذي إفترقت أحباءه أن يتسلَّي حزنه و تخمَدنا رُفؤاده.

٣. فقد رابنى قلبى! يُكلّفُنـــى الصِّبـا و ما كلّ حينٍ يَتبَع القلبَ صاحبُه

رابنى: أوقعنى فى الريب./ يكلّفنى الصبا: يُحملنى الحبَّ والصَبوة.

يقول: لقد أصاب قلبى سهام الحبّ و شوائب الهوى و يحرضّنى دائماً إلى التصابى و لكن الانسان قد لا يتبّع هوى قلبه ولا يطيع مشتهياته.

٤. أخوک الذی إن ربته قـال أنّمـا أربتُ و إن عاقبتَه لان جانبُـه

رِبتَه: رأی منک ما یریبه./ أربتُ: نسبت الریبه إلی نفسی.

یقول: أخوک هو الذی إن رأی منک ما یُریبه و علِم منک الریبة، لم یفضَحک بل ینسب الریبة إلی نفسه کأنّه هو المُریب وحده و إن عاتبتَه لم یحمَد علی العتاب بل یَلین جانبه.

٥. إذا کنتَ فی کلّ الأمور معاتبـاً صدیقکَ لم تلق الذي لا تُعاتبه

معاتباً: لائماً، عائباً

یقول: إن اتهمتَ کل واحد من أصدقائك و عاتبتهم بمعایبهم إذن لا تجدُ أبداً صدیقاً دون معاتبة.

٦- فَعِش واحداً أوصل أخاک فإنّـه مُقارف ذنبٍ مرّ ة و مجانبُـه

مُقارف ذنبٍ:مقترف ذنب أو مُرتکبه. / مجانبه: اَي مُحاذره، من جانَبَه، إذا کان منه بجانب أي بعیداً عنه.

یقول: أنت مخیّر بین أن تَصِل أخاك أو تعیشَ منفرداً لأنَّ أخاك إنسان فمرّ ة یرتکب الذنب و مرّ ة یجتنبه.

٧- إذاأنت لم تَشرَب مِراراًعَلَی القَذَی ظَمِئتَ و أیّ النّاس تَصفُو مَشاربُه

القذي: ما یقع في الماء من تِبنٍ و غیرها. / ظمئتَ: بقیتَ عطشاناً. / تصفُو مشاربُه: أي شربه صفوٌ خالصٌ.

یقول: إذا لم یَشرب الانسانُ الکدِر من الماء أحیاناً لا یُمکنُه شرب الصَفو منه دائماً فَیَظمأ و یَبقي ظمآنا.

٨- و مَن ذَا الذّی تُرضَی سجایاه کلُّها کَفی المرءُ نُبلاً أن تُعدَّ معایبُـه

سجایا: مفردها سجیّة أي: الخصلة./ نُبلاً: أي شرفاً. والاستفهام انکاریٌ أي لا یوجد من یُحمد جمیعُ خصاله.

یقول: إبحَث بین الناس عمّن هو محمودةٌ خصاله کلّها فلا تجِده، فمِن المُستحیل أن تجد إنساناً منزّهاً عن کلِّ العیوب فإن أحصَیت معایبَ صدیقك، فاعلَم أنّه دلیل شرافته و نجابته.

٩. َخافُ المَنايا أن تَرحَلتُ صاحبـى كأنّ المنايا، فى المقام تُناسبُـه

ترّحلتُ: إرتحلتُ و غادرتُ./المنايا مفردها المنيّة، الموت./ تناسبه: تكون له ذات نسب فهي لا تضرّه.

يقول: يا صاحبي عندما ارتحلتُ و غادرتُ مكاني هذا فمغادرتي تخاف المنايا كأنّ المقام في هذا المكان بمنزلة نزول المنايا.

١٠. فقلت له: إنّ العـراق مُقـامُـه وخيمٌ إذا هبّت عليک جَنائبُـه

مقامه: أي إقامته. / وخيم: غير سائغ./ هبّت: ثارت و هاجت./ جنائب: مفردها جَنوب، أي ريح الجنوب و أشار بذلك إلي ما شاع عند الناس من تهييج ريح الجنوب روائحَ الكنَف بالبصرة.

يقول: قلت لصاحبي: أنا لا أستَسيغ البقاءَ في العراق خاصّة اذا هبّيت علينا ريحُ الجنوب.

١١. لألقَى بَنى عَيلان، إنّ فِعـالَهم تَزيد على كلّ الفِعال مراتبُـه

بني عيلان: أراد بهم قيس عيلان./ الفعال: ألفِعل الحسَن.

يقول: إن صنيعةَ بني عيلان و اعمالَهم الحسنة، زادت كل الفعال الحميدة رتبةً.

١٢- أولاک الأُلى شَقُّوا العِمى بِسيوفهم عن العين، حتىّ أَبصرالحقَّ طالبُه

أولاك: لغة في اولئك./ الأُلي: موصول بمعني الذين.

يقول: اولئك الذين حَاربوا الغُزاة و أذاقوهم طعنةً قاضيةً و بهذه المحاربة أزالوا غشاوةَ العمي عن العيون، فأدرك الحقيقةَ أصحابُها.

١٣- رُويدَ تَصاهَل بالعِراق جِيادُنا كأنَّک بالضّحاک قد قَام نادبُه

رُويدَ: اسم فعل بمعني أمهِل و هي إذا أريدَ بها التهديد نُصبت دون تنوين./ تصاهَل: أي تَتَصاهل بحذف إحدي التائَين بمعني تصوح./ الجياد مفردها الجواد، الفرس النَّجيب./ كأنّك هناتُفيد معني التقريب أي قرب قيامُ نادبه ودارت طائرة الموت عليه.

يقول: لا تَتعجّل يا صاحبي فَاذا سمعتَ أنّ خيولنا في العراق تصوح فَاعلَم بأنّ الضحّاك حان وقتُ موته و دارت طائرةُ المنيّة عليه.

١٤. و سام لمروان، و من دونه الشجّا و هولٌ كلجِّ البحرجاشت غواربه

وسامٍ لمروان: السامي «هنا» القاصد بعداوة كأنّه يرتفع ليَنال ما يَطلبه. أي طامحٌ للخلافة./ الشجا: ما يَعترض في الحَلق من عَظم و نحوه شَبّه به ما يعترض من الصِّعاب لمعادي الممدوح/ألهَول: الفزع و الخوف./ اللُجّ: الماء الكثير./ جاشت: من جَاش، يَجوش أي هاجت و فَارت / غَوارب مفردُها غاربة: أعالي الأمواج.

يقول: و طامحٌ للخلافة يري امام بُغيته من الصِّعاب ما يحُيطه و يَضيق عليه و مهالك شديدة كلجّة البحر الغاشية تَتلاطمُ أمواجُها

١٥. أحَلَّت بنا أمُّ المنايا بنـاتِهـا بأسيافنا، إنّا ردى من نحاربُـه

أحَلَّت به: أنزلت به./ أمّ المنايا: الداهية العظمي والمصيبة الكبري، جعل للمَنايا أمّاً هي عُنصر الموت و جعل لها بَنات و هي المَيتات المختلفة المُتَشعِّبة./ أحلّت به بَناتها: أي أهلكته./ الردي: الهلاكة.

يقول: لمّا دارَت رحَي الحَربِ أوقَعنا بالضحّاك ضربةً بسيوفنا قَضَت عليه فإنّا بمثابة الموت أمام من يُحاربنا.

١٦. ركِبنا له جهـراً بكـلّ مُثَقّـفٍ و أبيضَ تستسقِي الدّماءَ مَضاربُـه

المثقّف: المقوّم، صفةٌ للرُّمح المحذوف./أبيض: صفة للسّيف المخدوف./ تَستَسقي تطلب سَقياً./ المضارب: مفردها مَضرب، حدّ السيف.

يقول: تهّيأنا لمواجهة هذا العدوّ (الضحّاك) بكلّ رمح متين. مقوَّم و سيفٍ قاطع حدّه يستسقي دماء القَتلَي.

١٧- وجيشٍ كجُنح اللَّيل يزحفُ بالحَصى و بالشَّوكِ، والخَطيِّ حُمراً ثَعالبُه

جُنح اللّيل: طائفة منه كالسِتار. شبّه الجيش به واسو داده لما عليه من الحديد./ يزحفُ: كُتب في الديوان «يرجُف والرَجيف دَويّ الأصوات و صوت الرعد. ورواه في الأغاني «يزحفُ» أي يهجُم مِن زحف الجيش إذا مشي نحوَ العدوّ/الحَصي: هنا بمعني العدد الكثير من الجنود./ الشَّوك: السلاح الحادّ./ الخطيّ: أي الرمح الخَطيّ نسبه إلي الخَطّ مَرفَأ في البحرين تُباع فيه الرّماحُ./ الثَعالب مفردها الثعلب، أطراف الرّماح الداخلة في السِّنان.